التفاضل وأثره في ترتيب أولويات برامج العمل الخيري

(دراسة تطبيقية)

إعداد

د/ إيمان محمد أحمد الطيب محمد أحمد

ملخص البحث

كثرت الحاجة إلىٰ الأعمال الخيرية في هذا العصر؛ مما جعل المؤسسات والجمعيات الخيرية غير قادرة علىٰ تغطية حوائج الناس كلها. وقد وضع العلماء قواعد فقهية في تفاضل الأعمال الخيرية وترجيح بعضها علىٰ بعض، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث بعنوان: التفاضل وأثره في ترتيب أولويات برامج العمل الخيري، للمشاركة به في مؤتمر العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من: مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة.

جاء في المقدّمة:

أهمية البحث،

وأهدافه،

ومشكلته،

والمنهج،

وخطته،

ثمّ المبحث الأول وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: التعريف بالأعمال الخيرية،

والثاني: أهمية الأعمال الخيرية،

والثالث: أنواع الأعمال الخيرية،

والمبحث الثاني وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: التعريف بقاعدة التفاضل،

والثاني: قواعد الترجيح المشابهة لقاعدة التفاضل،

والثالث: الأدلة من القرآن والسنة علىٰ تفاضل الأعمال الخيرية،

والمبحث الثالث فيه ثلاثة مطالب:

الأول: آليات التفاضل

والثاني: تطبيق التفاضل علىٰ بعض الأعمال الخيرية،

والثالث: أثر التفاضل في ترتيب أولويات العمل الخيري،

ثم الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله. أما بعد: فإن الشريعة الإسلامية حثت علىٰ فعل الخيرات والتراحم بين المسلمين لما لها من أهمية وفضل عظيم، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١]، وقال عليه الصلاة والسلام: « المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فَرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً سترة الله يوم القيامة» [متفق عليه].

وكان السلف والخلف يتسابقون في الأعمال الخيرية؛ لكسب الأجر والثواب من الله تعالىٰ. وانطلاقًا من هذا جاءت فكرة المشاركة في مؤتمر: العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها بعنوان: "التفاضل وأثره في ترتيب أولويات برامج العمل الخيري".

۞ أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في معرفة ترتيب أولويات برامج العمل الخيري ليحقق المقصد الأساسي من قيامه، وهو استفادة المسلمين منه، وكان لا بد للرجوع إلىٰ القواعد الفقهية التي تساعد علىٰ وضع آليات، تتفاضل بها برامج العمل الخيري، واختارت الباحثة من تلك القواعد قاعدة: " التفاضل" لما لها من أثر في ترتيب أولويات برامج العمل الخيري.

❁ أهداف البحث:

تسعىٰ الباحثة من خلال هذا البحث إلىٰ الأهداف الآتية: ـ

١/ التعرف علىٰ أهمية الأعمال الخيرية وأنواعها.

٢/ المساهمة في تذليل بعض العقبات التي تواجه برامج العمل الخيري.

٣/ معرفة بعض الآليات التي تساعد علىٰ ترتيب أولويات برامج العمل الخيري.

٤/ بيان وتوضيح أثر التفاضل في نجاح واستمرار العمل الخيري.

❁ منهج البحث:

تتبع الباحثة في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

❁ مشكلة البحث:

هناك الكثير من يقوم بأعمال خيرية ولكن القليل منها ما يستمر؛ لعدم وجود آلية تنظم برامج العمل الخيري، فكان لا بد من إيجاد قواعد يستند إليها في ترتيب أولويات برامج العمل الخيري، ولعل هذا البحث " التفاضل وأثره في ترتيب أولويات العمل الخيري دراسة تطبيقية" يكون حلاً لهذا الإشكال، ويساهم في استمرار العمل الخيري.

❁ خطة البحث:

يتكون البحث من الاتي:

المبحث الأول: التعريف بالأعمال الخيرية وأهميتها وأنواعها.

المطلب الأول: مفهوم الأعمال الخيرية (تعريفها).

المطلب الثاني: أهمية الأعمال الخيرية.

المطلب الثالث: أنواع الأعمال الخيرية.

المبحث الثاني: قاعدة التفاضل بين الأعمال الخيرية وقواعد الترجيح بينها عند التزاحم.

المطلب الأول: الأدلة علىٰ تفاضل الأعمال الخيرية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: التفاضل بين الأعمال الخيرية في الكيفية والكمية.

المطلب الثالث: قاعدة التفاضل بين الأعمال الخيرية في الكيفية والكمية.

المبحث الثالث: أثر التفاضل في ترتيب أولويات العمل الخيري.

المطلب الأول: أهمية الترتيب لأولويات العمل الخيري.

المطلب الثاني: أثر تطبيق قاعدة التفاضل علىٰ الأعمال الخيرية.

الخاتمة وتشتمل علىٰ النتائج والتوصيات.

الفهارس.

النتائج المتوقعة:

١/ تطبيق آليات العمل الخيري يجعل برامجه مستمرة ونفعها يعود علىٰ أكبر قطاع من المجتمع المسلم.

٢/ تأصيل العمل الخيري يحقق مصلحة أو يدرأ مفسدة.

المبحث الأول

التعريف بالأعمال الخيرية وأهميتها وأنواعها

- المطلب الأول: مفهوم الأعمال الخيرية.
- المطلب الثاني: أهمية العمل الخيري
- المطلب الثالث: أنواع العمل الخيري في الإسلام.

المطلب الأول

مفهوم الأعمال الخيرية

العمل الخيري في اللغة بالمفهوم العام:

ما تطوع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه،

والعمل الخيري عند الفقهاء:

يطلق علىٰ اسم التطوع وهو: التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بما ليس بفرض من العبادات، أو هو: المعطىٰ من مال أو جهد علىٰ أساس المواساة بين أفراد الأمة الخادمة لمعنىٰ الأخوة، فهي مصلحة حاجيه جلية وأثر خلقي إسلامي جميل، بها حصلت مساعفة المعوذين وإغناء المفتقرين وإقامة الجم من مصالح المسلمين.

والعمل الخيري عند علماء الاجتماع:

هو ذلك المجهود القائم علىٰ مهارة أو خبرة معينة والذي يبذل عن رغبة واختيار؛ بغرض أداء واجب اجتماعي وبدون توقع جزاء مالي بالضرورة.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكننا القول:

إن العمل الخيري هو: كل جهد مالي أو جسدي يبذله الفرد أو المؤسسات، اختياري ودون توقع مردود مالي، يقصد بذلك تحقق مصلحة ضرورية أو حاجيه أو تحسينية للناس، وتعاون وتضامن اجتماعي يرقىٰ به المجتمع ككل، ويعود علىٰ صاحبة الباذل بالثواب في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني

أهمية العمل الخيري

تتجسد أهمية العمل الخيري في محورين: أحدهما: أهميته بالنسبة للفرد، والأخر: أهميته بالنسبة للمجتمع:

۞ أولاً: أهمية العمل الخيري بالنسبة للفرد:

العمل الخيري ينمي علاقة المسلم بربه، فمساعدة المحتاجين عبادة دلت كثير من الأحاديث عليها، منها قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلم ستره الله يوم القيامة».

والعمل الخيري يصرف طاقة الفرد إلىٰ الخير والعطاء والبناء والنماء، وذلك بتوجيه طاقة الفرد إلىٰ العمل حتىٰ لا تسلك مسلكاً عدائياً. ويشجع الفرد علىٰ تنمية قدراته ومهاراته الشخصية من خلال مخالطته للناس وفهمه لنفسياتهم، وينمي ثقته في نفسه وقدرته علىٰ تحمل المسؤولية، ويزيد من قدرته علىٰ اتخاذ القرارات المناسبة، ومواجهة مشاكله وحلها باقتدار أكبر، ويرسخ في المسلم كثيراً من الأخلاق الحسنة، مثل الجود والكرم والعطاء، فهي من مكارم الأخلاق التي حثنا الإسلام أن نتخلق بها، وهي صفات يتميز بها الفرد المسلم عن غيره ويرقىٰ بالفرد ثم المجتمع، وبالتالي تتحقق التنمية الشاملة ويتجسد مبدأ التكافل

الاجتماعي.

۞ ثانياً: أهمية العمل الخيري بالنسبة للمجتمع:

العمل الخيري تتجسد أهميته في حياة الإنسان وبقائه، وهذا يتمثل في الأعمال الخيرية في الأشياء الضرورية كالمأكل، والملبس، والإيواء، والصحة، والتعليم، ويساعد في إزالة وحلول المشكلات الإنسانية التي تتراكم مع الأيام، أو تكون بسبب النكبات والحوادث مما يجعل الحكومات غير قادرة علىٰ إزالتها بالكلية، فيأتي دور العمل الخيري ليكون مسانداً وداعمـًا لها حتىٰ تخرج إلىٰ الاستقرار، ومثل هذه الأعمال الخيرية كثيرة وغير متناهية.

وبه تتوحد الصفوف وتتماسك المجتمعات وتتقدم الأمم، وهي كذلك دلالة قوية علىٰ اعتماد الناس علىٰ بعضهم البعض في حل المشكلات، كما أنها ضرورة من ضرورات البقاء. وعلىٰ هذا دلت السنة في الحديث الذي رواه الشيخان في صحيحهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: " ترىٰ المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكىٰ عضواً تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ".

وبالعمل الخيري تكون الاستفادة من الموارد البشرية، حيث يمثل دوراً ايجابيـًا في إتاحة الفرصة لكافة أفراد المجتمع للمساهمة في عمليات البناء الاجتماعي والاقتصادي.

وبالعمل الخيري يتجسد مبدأ التكافل الاجتماعي والمواساة والإيثار، روىٰ الشيخان في صحيحهما عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، يحدث أن النبي ﷺ جالس ذات يوم علىٰ المنبر وجلسنا حوله فقال: إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها.... وإن هذا المال خضرة حلوه فنعم

صاحب المسلم ما أعطىٰ منه للمسكين واليتيم وابن السبيل".وبالعمل الخيري يتحسن المستوىٰ الاقتصادي والاجتماعي، كما له تأثير في بناء المجتمع المتعاطف المتعاون المتكاتف المتماسك، فقد روىٰ الشيخان في صحيحهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها قلت: فإن لم أفعل قال: تعين ضايقًا أو تصنع لأخرق، قال: فإن لم أفعل قال: تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها علىٰ نفسك".

وبه يدرك المجتمع حجم احتياجاته والإمكانات المتاحة لديه، ومن ثم العمل علىٰ سد هذه الاحتياجات بجهود أفراده المتطوعين، من خلال ما يتولد لديهم من أفكار، وما يقمون به من أعمال، بحسب الموارد المتاحة، ويصقل قدراتهم وينميها، ويساعد في إيجاد فرص عمل لغالب أفراد المجتمع من خلال المهارات التي يتعلمونها، وهذا يسهم في نهضة المجتمعات ويدفع عجلة التنمية فيها كما له أثر كبير في تحقيق الأمن بين أفراد المجتمع، من خلال الإفادة من أوقات فراغهم في الأعمال النافعة، والقضاء علىٰ البطالة، ومساعدة المحتاجين ما يكسبهم قدراً كبيراً من الأمان والاطمئنان.

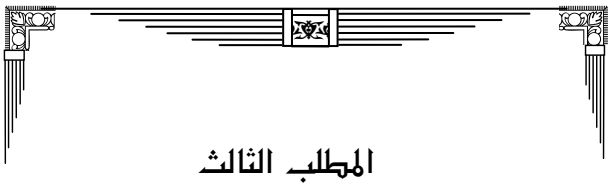

المطلب الثالث

أنواع العمل الخيري في الإسلام

١/ إعانة المسلم وتفريج كربه وستر حاله :

جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

٢/ تأييد المسلم وإعانته :

جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره».

٣/ إعانة الملهوف :

عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « علىٰ كل مسلم صدقة فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فمن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فمن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة».

٤/ إطعام الطعام:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف»

٥/ الغرس والزرع:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من مسلم يغرس غرسـًا أو يزرع زرعـًا فيأكل طيراً أو إنسانـًا أو بهيمة إلا كان له به صدقة».

٦/ رعاية المساجد والحفاظ عليها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقيم المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات. قال: أفلا كنتم آذنتموني به دلوني علىٰ قبره أو قال: قبرها فأتىٰ قبرها فصلىٰ عليها».

٧/ رحمة الخلق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « بينا رجل بطريق أشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرىٰ من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقىٰ الكلب، فشكر الله له فغفر له. قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجر. فقال: في كل كبد رطب أجر».

٨/ إزالة الأذى عن الطريق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس».

٩/ صدقة التطوع:

عن سعد بن عبادة رضي الله عنه توفيت أمه وهو غائب عنها فقال يا رسول الله: إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن تصدقت به عنها. قال: نعم. قال: فإني أشهدك ان حائطي المِخراف صدقة عليها.

١٠/ بناء المساجد:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: عند قول الناس فيه حين بنىٰ مسجد الرسول ﷺ إنكم أكثرتم وإني سمعت النبي ﷺ يقول: من بنىٰ مسجدا قال بكير حسبت أنه قال يبتغي به وجه الله بنىٰ الله له مثله في الجنة".

١١/ الصدقات الجارية:

(بناء المدارس، والمعاهد، والمستشفيات وحفر الآبار وغيرها من الأعمال الخيرية ـ بناء دور للأيتام والأرمل «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

المبحث الثاني

قاعدة التفاضل بين الأعمال الخيرية وقواعد الترجيح بينها عند التزاحم

- **المطلب الأول: الأدلة على تفاضل الأعمال الخيرية في القرآن الكريم والسنة النبوية.**

- **المطلب الثاني: قاعدة التفاضل بين الأعمال الخيرية في الكيفية والكمية.**

- **المطلب الثالث: قواعد الترجيح المشابهة لقاعدة التفاضل.**

المطلب الأول

الأدلة على تفاضل الأعمال الخيرية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

۞ أولاً: الأدلة على تفاضل الأعمال الخيرية في القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذٰلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾وقال تعالىٰ: ﴿حتىٰ إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا علىٰ أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتىٰ إذا ساوىٰ بين الصدفين قال انفخوا حتىٰ إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[النساء:٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾[الكهف:٧٧].

۞ ثانياً: الأدلة على تفاضل الأعمال الخيرية في السنة النبوية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن يسر علىٰ معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». وقال ﷺ:« لأن تغدوا مع أخيك فتقضي له حاجته خير من أن تصلي في مسجدي هذا مائة ركعة».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: « أحب الناس إلىٰ الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلىٰ الله عز وجل سرور تدخله علىٰ مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضىٰ يوم القيامة، ومن مشىٰ مع أخيه المسلم في حاجته حتىٰ يثبتها له، أثبت الله تعالىٰ قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل»

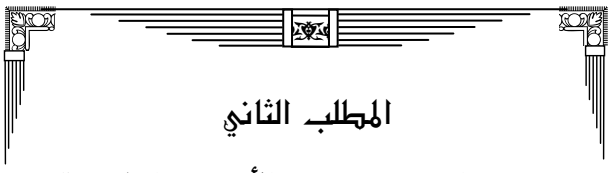

المطلب الثاني

قاعدة التفاضل بين الأعمال الخيرية في الكيفية والكمية

المقصود بتفاضل الأعمال تفاوتها من حيث الرتبة وبحسب نظر الشرع لها، وكذلك من حيث الكثرة والتعدد ومن حيث المعنىٰ المتحقق منها، فبعض الفقهاء رجح من الأعمال ما كان ذو شرف في نفسه علىٰ ما كان ذو عدد وهو أقل شرفا، وصاغوا قاعدة مفادها:"إذا تقابل عملان أحدهما ذو شرف في نفسه ورفعة وهو واحد، والآخر ذو تعدد في نفسه وكثرة، فإيهما أرجح"، وقاعدة "إذا تزاحمت المصالح روعي أعلاها "

وقد يكون العملان متماثلين وبينهما تفاوت في الأجر أو في القلة والكثرة، وذلك مثل أن يزكي بخمسة دراهم ويتصدق بعشرة ألف درهم، فالزكاة هنا أفضل نظرا للمعنىٰ، من حيث أنه واجب لا يجوز تركه؛ لأنه لو لم يوجبه لتقاعد الأغنياء عنه ولهلك الفقراء.

وقد يفضل العمل علىٰ نظيره بالكثرة، فمن أن أراد أن يوقف وقفا واحدا علىٰ الفقراء هل يفضل علىٰ من أن أوقف وقفين بثمن أقل منه؟ وقد سئل الإمام أحمد عن مثل ذلك فأعجبه ما كان ذا كثرة، ويعضهم رجح من الأعمال ما كان حسنا في ذاته؛ استنادا إلىٰ الحديث الشريف "سبق درهم مائة ألف درهم" فلربما توجد الكثرة وينتاب العمل ما يقلل من شأنه، كأن يلحقه منٌ أو أذىً، فما كان خالصا لله تعالىٰ وإن قل، مقدم علىٰ غيره وإن كثر.

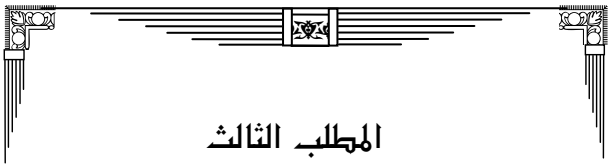

المطلب الثالث

قواعد الترجيح المشابهة لقاعدة التفاضل.

❁ القاعدة الأولى:

تقديم المصلحة الناجزة علىٰ غير المقطوع بها: ومثال ذلك إنشاء مصانع الأغذية والملبوسات أو بناء دور لإيواء الأيتام والأرامل؛ فإنه يقدم علىٰ إنشاء جمعية بغرض الإتجار بأموال الزكاة أو أموال اليتامىٰ؛ بغرض تحصيل الربح لكونه متوقع الحصول غير مقطوعا به.

❁ القاعدة الثانية:

اعتبار رتب المصالح من جهة متعلقها: وذلك بحسب ترتيب الضرورات الخمس، ومن ذلك تقديم الضروري علىٰ الحاجي والحاجي علىٰ التحسيني.

❁ القاعدة الثالثة:

تقديم ما كان أعظم أثراً علىٰ ما كان أقل أثرا: فإن كانت المصلحة أعظم أثرا أمر بها وقدمت علىٰ ما كانت أقل أثرا وإن ساوتها في الرتبة.

❁ القاعدة الرابعة:

تقديم المصلحة العامة علىٰ الخاصة: مثل أن تتعارض مصلحة فرد مع مصالح مجموعة، فتقدم مصلحة المجموعة علىٰ الفرد.

القاعدة الخامسة:

تقديم ما دلت النصوص علىٰ تقديمه من جهة كثرة اعتبارها له، أو من جهة تقديمه في نظائر المسألة علىٰ غيرها.

القاعدة السادسة:

تقديم المصلحة في زمن الفتن والمحن والشدائد التي تحيق بالأمة.

المبحث الثالث

أثر التفاضل
في ترتيب أولويات العمل الخيري

- المطلب الأول أهمية الترتيب لأولويات العمل الخيري.
- المطلب الثاني: أثر تطبيق قاعدة التفاضل على الأعمال الخيرية.

المطلب الأول

أهمية الترتيب لأولويات العمل الخيري

مما يؤكد أهمية الترتيب بين الأعمال الخيرية ما كان علية الصحابة رضوان الله عليهم في تقديمهم الأولىٰ ثم الأولىٰ من الأعمال الخيرية، ومما يدل علىٰ ذلك ما رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه جلس يومـًا مع بعض أصحابه في دار رحبة: فقال لهم: "تمنوا، فقال أحدهم: أتمنىٰ أن يكون لي ملء هذه الدار دراهما من فضة أنفقها في سبيل الله، وتمنىٰ آخر أن يكون له ملؤها ذهبـًا ينفقه في سبيل الله، أما عمر فقال: لكني أتمنىٰ ملء هذه الدار رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولىٰ أبي حذيفة، فاستعملهم في سبيل الله".

وأثر أولوية العمل الخيري تظهر في تقديم ذي النفع المتعدي علىٰ ذي النفع القاصر، وقد وقعت الإشارة إلىٰ ذلك في قول الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

وتظهر كذلك في تقديم العمل الخيري الأطول علىٰ المنقطع، جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه « أربعون خصلة، أعلاهن منحة العنز » وهذا مثل: الأوقاف الخيرية التي عرفها المسلمون منذ عصر النبوة، وتميزت

الحضارة الإسلامية بسعتها وكثرتها وتنوعها حتىٰ استوعبت كل جوانب البر، ونواحي الخير، مما شمل كل ذوي الحاجة من بني الإنسان، بل امتد خيرها إلىٰ الحيوان كما ورد في الحديث الشريف: « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن سبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته».

۞ وتبرز أهمية ترتيب أولويات العمل الخيري في الآتي:

١ـ تثبيت عامة الناس والمتبرعين لئلا تهتز ثقتهم بالمؤسسات الخيرية.

٢ـ تقوية العلاقة بين المتبرعين والداعمين والمحافظة عليهم، وذلك من خلال اطلاعهم علىٰ المشاريع التي قامت بها المؤسسات الخيرية، وترتيب برامجها لإقامة مشاريع أخرىٰ.

٢ـ يقوي اعتماد المنظمات الخيرية ويؤكد أن لها أهدافاً وخطط واستراتيجيات تسير وفقها.

٣ـ يساعد علىٰ استمرار المنظمات والمؤسسات الخيرية وديمومتها بشكل أفضل.

٤ـ سد حاجيات المجتمع بالترتيب من قيام بأعمال خيرية ضرورية إلىٰ حاجيه ثم تحسينية.

٥ـ المساعدة علىٰ معرفة احتياجات المجتمع.

٦. مساعدة الحكومات في زمن الكوارث العامة عند العجز بتلافيها بالكامل أو التقليل منها.

٧. تقوية وتماسك المجتمع الإسلامي ووحدته.

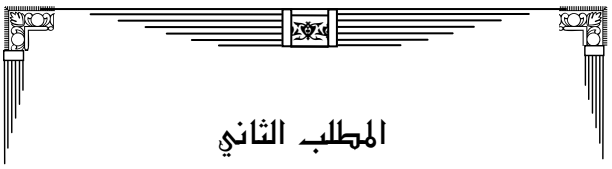

المطلب الثاني

أثر تطبيق قاعدة التفاضل على الأعمال الخيرية

١. تقديم ما كان نفعه عاما على ما كان خاصا:

وذلك مثل: تقديم الأعمال الخيرية التي تلبي حاجات الجماعة علىٰ الأعمال الخيرية الخاصة بالفرد؛ لأن حاجة الجماعة أشد وأبلغ وقعاً من حاجة الفرد، فمثلاً: لو أرادت مؤسسة إغاثة: تقديم الأطعمة والألبسة للمشردين، وكان ذلك يتعارض مع مصلحة بائع الأطعمة والألبسة الذي يريد أن تزيد مكاسبه من بيع الأطعمة والألبسة لهؤلاء المشردين، ففي هذه الحالة تقدم مصلحة الجماعة (المشردة) ويسمح للمؤسسة الإغاثية بإعاشتهم وسد حاجاتهم، ولا ينظر إلىٰ مصلحة البائع عملاً بتلك القاعدة السابقة.

٢/ تقديم الأكثر نفعاً على الأقل منه:

كتقديم الأعمال الخيرية الأكثر نفعاً للآخرين علىٰ غيرها: ولهذا كان جنس أعمال الجهاد أفضل من جنس أعمال الحج، لأن الأعمال الخيرية في الجهاد يكون نفعها لكل الأمة المسلمة، من حماية للدين وإظهار لقوة المسلمين ومحاربة المشركين وكسر شوكتهم وتوحيد صفوف المسلمين وغيرها، والحج نفعه لصاحبه فقط ولا يعود نفعه للأمة الإسلامية بشيء منه.

٣/ تقديم ما كان نفعه دائما على ما كان منقطعا :

وذلك مثال: كان ﷺ يقول: « أحب العمل إلىٰ الله ما دام عليه صاحبه وإن قل» أي الأعمال الخيرية التي نفعها دائم أولىٰ وأفضل من الأعمال الخيرية التي نفعها منقطع، ومن أجل ذلك فُضلت الصدقة بما يطول انتفاع الناس به، ويبقىٰ أثره، مثل: منيحة العنز. من حديث «أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل خصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة».

ويقاس علىٰ ذلك منيحة الإبل، والبقر، والأجهزة الكهربائية، والأراضي الزراعية، وكل ما يمكن أن يُعار ويستفيد منه مستعيره، ثم يعاد لصاحبه، ليُعيره مرة أخرىٰ، وهكذا يتجدد الخير، ويزداد الثواب، ويكثر انتفاع الناس، وتسد حاجات أكبر عدد من المعوزين. فيمكن للجمعيات الخيرية أن توزع علىٰ الفقراء الإبل والبقر والغنم لكي يستفيدوا من لبنها وولده، فيبيعون منه ويأكلون ويدخرون. وكذلك يمكن للجمعيات الخيرية أن توزع الماكينات المناسبة، والسيارات الصغيرة الحديثة ليعملوا عليها ويحصلوا علىٰ مبالغ تعينهم في معاشهم ويدخرون منها ما يزيد، وهذا أولىٰ من إعطائهم مبالغ مالية مقطوعة يعودون للحاجة فور إنفاقها. وتشغيل العاطلين القادرين علىٰ العمل أولىٰ من إعطائهم من الصدقات والتبرعات وهذا هدي النبي ﷺ في تعامله مع المحتاجين قال: « لأن يحتطب أحدكم حزمة علىٰ ظهره، خير له من أن يسأل أحداً، فيعطيه أو يمنعه».

وفي إمكان الجمعيات الخيرية في هذا العصر الحاضر إنشاء المصانع الصغيرة والمخابز والمطاعم والمطابع وغيرها، وتشغيل القادرين من الفقراء والأرامل بأجور يومية أو شهرية مناسبة، وذلك أفضل لهم ماديـًا أو معنويـًا، وأفضل للجمعيات الخيرية حيث إن مثل هذه المشاريع تدُر عليها دخلاً ماديـًا يمكنه أن

يسهم في القضاء علىٰ البطالة، وينمي لدىٰ أفراد المجتمع حب المشاركة الفاعلة في العمل والتطوير. وكذلك تكون الجمعيات حافظت وزادت من دخلها ويصرف هذا الدخل في أشياء أخرىٰ ينتفع بها المجتمعات المسلمة ويستمر بها العمل الخيري ويدوم عطائه.

٤/ تقديم ما من شأنه تخفيف الكوارث على ما ليس كذلك:

تقدم الأعمال الخيرية في زمن المحن والشدائد والكوارث العامة مثل: الزلازل، والعواصف، والحرائق، والسيول التي تصيب المجتمع علىٰ غيرها من الأعمال الخيرية؛ لأنها ضرورية وإذا لم تقدم تؤدي إلىٰ هلاك وتلاشي ودمار. وذلك مثل: الأعمال الخيرية في تطبيب الجرحىٰ واسعافهم وإنشاء دور للإيواء، وانقاذ المعوقين والغرقىٰ، وإنشاء مراكز طبيه وغيرها.

٥/ تقديم الضروري على الحاجي والتحسيني:

وكذلك تقدم الأعمال الخيرية الضرورية علىٰ الحاجيه والتحسينية: وقد كتبت الحَجَبَةُ إلىٰ عمر بن عبد العزيز يأمر للبيت بكسوة كما يفعل من كان قبله، فكتب إليهم: " إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة فإنهم أولىٰ بذلك من البيت" لأن إطعام الجياع أمر ضروري، فهو محافظة علىٰ النفس من الهلاك، أما كسوة الحرم فقد لا تتجاوز أن تكون من التحسينيات.

ويقدم إطعام المحتاجين لضرورة الحياة علىٰ إفطار الصائمين في المسجد الحرام؛ لأن الأول أولىٰ لأن فضيلته تتعلق بنفس العبادة. كما قدم الشافعية والحنابلة بناء عدة مساجد علىٰ بناء مسجد واحد ذي مرافق متعددة. وهذا يختلف باختلاف البلاد ففي البلاد التي لا يوجد بها مسجد لكل منطقة الأفضل الكثرة؛ حتىٰ يستطيع أهل كل منطقة أداء الصلاة في جماعة وهذا بمثابة الضرورة، أما

البلاد التي يكثر فيها بناء المساجد الأفضل بناء مسجد كبير ذي مرافق متعددة وهو بمثابة التحسيني. وإذا كان المعروف أكثر أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر ولم يُنه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذٍ من باب الصد عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله، وزوال فعل الحسنات، وإن كان المنكر أغلب نُهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر، وسعياً في معصية الله ورسوله، وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم يُنه عنهما.

٦/ تقديم ما فيه إصلاح المسلمين على المندوب من العبادات:

وقد ورد في الحديث الذي رواه أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة».

وكذلك العمل الخيري في التعليم مقدم علىٰ العمل الخيري لتنظيف وتنظيم الحي أو المنزل للمحتاجين؛ لأن نفع العلم أدوم من نفع تنظيم الحي وأولىٰ للمجتمع، لأن العلم له دور مهم في نهضة المجتمعات وتطورها، والتركيز علىٰ التخصصات العلمية التي تحتاجها المجتمعات الفقيرة. فقد ورد في الحديث الشريف: « فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب».

الخاتمـــة

الحمد لله الذي به تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ الرسول الكريم، محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، أما بعد..

فإن العمل الخيري هو طريق ومنهج المسلمين إلىٰ يوم يبعثون، فكان الرسول ﷺ يحث ويشجع عليه الصحابة، ثم توالت الأعمال الخيرية جيلاً بعد جيل وستبقىٰ الأعمال الخيرية هي الميزة التي يتميز بها المسلمون عن غيرهم، ويضعون له برامج، وتنظيمات، وأولويات، وخطط؛ لتنفيذها حتىٰ تود ثمرة هذه الأعمال علىٰ جميع المسلمين، بل حتىٰ علىٰ الحيوانات كما قال عليه الصلاة والسلام: « في كل كبد رطب أجر».

وفي هذا الزمن الحاضر كان الناس أكثر حاجة للأعمال الخيرية في شتىٰ نواحي الحياء؛ وذلك بسبب الحروب التي حلت بالناس وما نتج عنها من جوع ومرض وتشرد وجهل وغيره مما لا يخفىٰ علىٰ أحد، فكان لا بد من تنظيم برامج العمل الخيري وترتيبه وفق آليات؛ حتىٰ تغطي حاجة الناس ويكون النفع والفائدة أكثر، ويستمر ذلك العطاء الخيري دون انقطاع أو تبعثر أو تخبط ليحقق الهدف من قيامه، وبالرجوع إلىٰ القواعد الفقهية نجد أن العلماء قد وضعوا قواعد تتفاضل فيها الأعمال الخيرية وترتبها وتنظمها، وتجعل العمل الخيري أكثر استمراراً ونفعـًا للمسلمين ويسد حاجاتهم.

وأثر التفاضل في الأعمال الخيرية له أثر عظيم في استمراره وتحقيق الهدف المقصود منه، ويسد حاجة المجتمع وينهض بالأمة ويوحد الصفوف ويقوي علاقة المسلمين بعضهم ببعض، ويقضي علىٰ الفساد والبطالة والتشرد والجهل والمرض، ويحقق للمجتمع السعة والرفاهية والكمال لحاجاتهم، ويحقق الاستقرار والأمن والأمان والطمأنينة.

المصادر والمراجع

(١) الارتقاء بالعمل التطوعي، عبد القادر بن ياسين خطيب، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، جامعة القرىٰ ـ مكة المكرمة، (٢٨، ٢٩/ ١٠/ ١٤٣٣هـ).

(٢) العطاء الخيري سمة اجتماعية لتاريخ البشر، مهدي محمد القصاص، المركز الدولي للأبحاث والدراسات، مقال (١/ يناير/ ١٩٧٠م، ١٣/ شوال ١٣٨٩هـ).

(٣) العمل التطوعي أسسه ومهاراته وأهميته العمل التطوعي للمجتمعات والتجمعات ودوره في التنمية، عيسىٰ القدومي، مقال، مجلة الفرقان ٨/ ١٠/ ٢٠١٢م).

(٤) العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة، أحمد مخيمر، شبكة الألوكة الثقافية، (٢٠١٢م، ١٤٣٣هـ).

(٥) العمل التطوعي حتمية إنسانية تقتضيها ظروف العصر، أحمد فتحي النجار، المركز الدولي لأبحاث والدراسات، مقال (١٩٦٩م،١٣٨٩هـ).

(٦) العمل التطوعي في السنة النبوية دراسة موضوعية، رنده محمد زينو، موقع نداء الإيمان (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).

(٧) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الرحيلي، ج٢.

(٨) القواعد الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح، (الناشر: عمادة البحث

العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، بالمملكة العربية السعودية، ج ١)
(٩) القواعد لأبن رجب الدمشقي الحنبلي، (دار الكتب العلمية).
(١٠) التمويل الخير العقبات المعاصرة والحلول البديلة، محمد ناجي بن عطية، موقع بحوث ودراسات، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).
(١١) طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، سيد أبو حسنين، شبكة الألوكة.
(١٢) لسان العرب، لأبن منظور، ج ٨.
(١٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، تح: محمد الطاهر الميساوي (الناشر: دار النفائس، سنة النشر ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، الطبعة ٣) ص ٤٨٧.
(١٤) فقه الأولويات دراسة جديده في ضوء القرآن والسنة، يوسف بن عبدالله، (مكتبة وهبة: القاهرة، ط ٢، ١٤١٦هـ، ١٩٦٦م).
(١٥) قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، مكتبة الكليات، الازهر: القاهرة، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ج ١
(١٦) قواعد الترجيح بين المصالح المتعارضة في الفقه الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة، أسماء المدني، دار العاصمة المملكة العربية السعودية ـ الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م،).
(١٧) قواعد الترجيح بين المصالح والمفاسد وتطبيقاتها علىٰ الوسائل الدعوية من فقه العثيمين، طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري، شبكة الألوكة (٢٤/ ١١/ ١٤٣٧هـ، ٢٨/ ٨/ ٢٠١٦م).
(١٨) قواعد تفاضل الأعمال، أشرف عبد الرحمن، مقال، شبكة الألوكة، (٢٠١٧م، ١٤٣٩هـ).